عناية المفسرين ببيان مشكل القرآن الكريم وأسبابه وأنواعه

إياد ناصر مصطفى مقدادي[i]

تاريخ الاستلام
2024/5/12
تاريخ القبول
2024/6/4

المستخلص

تناول هذا البحث عناية المفسرين بمشكل القرآن الكريم، واهتماماتهم ببيان المشكل عرضًا، وتوجيهًا، وحقيقته، وأهميته في التفسير، وذكر أنواع المشكل التي اعتنى بها المفسرون، وأسباب ورود الإشكال في القرآن وتوجيههم له، واستخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، وتوصل البحث إلى نتائج أبرزها، أن معاني المشكل بأنواعه تدور حول الغموض والالتباس والخفاء، وأن المشكل لا يقع في ذات النص القرآني، وإنما يعرض للأفهام والأذهان، وأن المشكل حقيقة تناولها السلف والخلف من الأمة، واعتنى المفسرون بكل أنواع الإشكال مثل مشكل المعنى، ومشكل اللغة، ومشكل القراءات، ومشكل التناقض، وأن للمشكل أسبابًا أبرزها مخالفة العقيدة السليمة، والجهل، والبعد عن أصول اللغة وقواعدها.

الكلمات المفتاحيّة: عناية المفسرين، مشكل القرآن، أنواع المشكل، أسبابه.

---

[i] جامعة اليرموك

The Commentators' Attention to Explaining the Problem of the Holy Qur'an, its Causes and Types

Abstract

This research dealt with the attention given by the interpreters to the problem of the Holy Quran and their concerns about the statement of the problem by way of an introduction, guidance, and a presentation on the definition of the problem of the Quran, its reality and its importance in interpretation. It mentioned the types of problems that the interpreters took care of and the reasons for the problems that arose in the Quran and in the interpretation. The main findings of the research were that the meaning of the problem revolved around ambiguity, confusion and invisibility, that the problem did not fall into the same Quran text, but rather on the interpretation of the facts and minds. The problem was dealt with by the predecessors and the successors of the nation. The interpreters took care of all kinds of problems, such as the problem of meaning, the problem of language, the problem of reading and the problem of contradiction.

Keywords: the care of the interpreters, the problem of the Koran, the types of problem, the causes of the problem.

المُقدمة

الحمدُ لله وتبارك الذي نزّل الفرقانَ على عبده ليكونَ للعالمينَ نذيرًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد الذي أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه ومن استنّ بسنته واهتدى بهديه وبعد؛

فإن القرآن معجزة خالدة في لغته وبيانه، يشهد على الدهر ويشهد الدهر عليه، فلغة القرآن في توخي علم النحو ونظم قواعد اللغة التي نزل بها القرآن، يظهر بالتناسق بين المعاني والألفاظ، فالألفاظُ ثوبٌ يتناسب مع المعاني، كما يلائم الثوبُ حجمَ لابسه، وجمالُ اللغة في البيان والبلاغة التي تزيد من قيمة المعاني والمقاصد وترفع من قدرها، ولها أثر في الإنصات إليه وإعجاب النفوس بعظمته وكماله.

والقرآن الكريم منزه عن الاختلاف والتناقض، ولكن يقع مشكل في المعاني أو اللغة أو في التناقض من جهة الأفهام والأذهان، لذلك عني العلماء وأهل التفسير بجهود علمية بتدبّر لغة القرآن الكريم، بيانًا وتفسيرًا، وخاصة مشكل اللغة لتوضيح ما أبهم ودفع ما ظاهره التعارض، للدفاع عن كتاب الله، لأن كلام الله منزه عن النقص والاختلاف، ومحكم في ألفاظه ومفصّل في معانيه، لأن القرآن كلام الله منزّه عن الاختلاف، ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم الاختلاف وليس اختلافًا فيُحتاج لإزالته.

فأظهر الاهتمام بلغة القرآن أسلوبًا مغايرًا لأساليب اللغة، وفصاحةً لم يرق إلى مثلها بشر، وبلاغةً لم يوصف بمثلها كلام، فتحدّى بلاغة العرب التي كانت موضع فخرهم وزهوهم، والقرآن أضاف للبلاغة جمالًا، فألفت المؤلفات والمصنفات في الماضي والحاضر في بيان ما يشكل في القرآن، مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ت276هـ.

وفي بيان وتوجيه المشكل بأنواعه وفي معرفة أسبابه إبراز لعظمة القرآن وقدسيته، لأنه منهج لهداية البشرية، وإذا ثبت أن القرآن في نفسه لا اختلاف فيه، صحَّ أن يكون حَكَمًا بين جميع المختلفين، لأنه يقرر معنى الحق، والحق لا يختلف في ثبوته، وكل اختلاف بين البشر فالقرآن مهيمن عليه، قال الله تعالى: **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)** [النساء: 59]

وفي التعريف بجهود العلماء بدراسة المشكل وتوجيهه إثبات لمصدر القرآن الرباني، وهذا ما دعا أهلَ التفسير إلى الاهتمام به في القديم والحديث، لنفي دعاوي بشرية القرآن الكريم، فإن في قوله تعالى: **(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)** [النسا:82] أمرًا بتدبر القرآن، ونهيًا عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة، وألفاظه البليغة، وإخبارًا أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تعارض، لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حقٌّ من الله الحقّ، ولهذا قال تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [محمد:24].

مشكلة البحث وأسئلته

تظهر مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الأساسي: كيف تعامل المفسرون مع مشكل القرآن؟ والذي تتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1.ما تعريف مشكل القرآن لدى العلماء؟
2.ما أهمية إيضاح مشكل القرآن في التفسير؟
3.ما حقيقة المشكل في القرآن الكريم؟
4.ما أنواع المشكل التي عرض لها المفسرون؟

5.ما أسباب ورود الإشكال في القرآن الكريم؟

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1.إبراز مفهوم مشكل القرآن الكريم.
2.الوقوف على حقيقة المشكل وأهمية بيانه في التفسير.
3.إظهار أنواع مشكل القرآن التي عرضها المفسرون.
4.الوقوف على أسباب ورود الإشكال في القرآن الكريم.
5.إظهار عناية المفسرين بعرض مشكل القرآن وإيضاحه في التفاسير.

أهمية البحث

جاء اختياري لعنوان البحث (عناية المفسرين بأنواع مشكل القرآن وأسبابه)، وتظهر أهمية البحث في بيان الآتي:

1. ارتباط المشكل بالمصدر الأول للتشريع الإسلامي وهو القرآن الكريم، والذي هو الأصل في علوم الشريعة، فتسهم هذا الدراسة في إزالة ما قد يطرأ في الأذهان من الإشكال في فهم بعض الآيات التي قد يشكل فهمها، ودراسة المشكل امتثال لأمر الله تعالى في تدبر القرآن قال تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)** [النساء:82]
2. إسهامه في علم من العلوم التي تظهر إعجاز القرآن وإحكامه، وعدم التعارض والتناقض فيه.
3. الحاجة إلى بيان أن الإشكال لا يقع في ذات القرآن، وأن التناقض لا يكون بين النصوص والآيات فاحتاج ذلك إلى بيان، وتعرف جهود السابقين فيه وفي هذا زيادة الإيمان.
4. دفع ما ظاهره التعارض أو التناقض بين آيات القرآن، وفي هذا خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى، في إزالة مشكل القرآن بأنواعه في المعنى واللغة والقراءات وعلوم القرآن.
5. مشكلَ القرآنِ موضوعٌ متجدّدٌ يُسهم البحثُ فيه في تصحيح الفهم الخاطئ وإزالة الوهم واللبس، والذي يخدم الدعوة إلى الإسلام، ويسهم في إثراء الفكر الإسلامي خاصّة، والفكر الإنساني عامّة.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي في تأصيل المشكل، وبيان مفهومه، وعرض جهود المفسرين لأنواعه وبيان أسباب وقوعه، والمنهج التحليلي في توضيح الآراء وإظهار أنواع وقوع الإشكال وأسبابه، وعرض جهود المفسرين وعنايتهم بتوجيه مشكل القرآن.

الدراسات السابقة:

يتضح للباحث من خلال الاطلاع على الدراسات في مشكل القرآن أنه لم تبحث جهود المفسرين، ولكن الدراسات تأصيلية أو مقتصرة على مناهج بعض المفسرين، وهي:

1. دراسة سكاكر، علي عبد الله، **مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور، جمعًا ودراسةً**، هدفت الدراسة إلى بيان منهج ابن عاشور في عرض وتوجيه المشكل في تفسيره، والتحرير والتنوير، وتوصلت إلى أن ابن عاشور بحث المشكل بأنواعه كاملة، وأن منهجه اتباع أصول العقيدة واللغة في توجيه المشكل.[ii]

واقتصرت الدراسة على منهج ابن عاشور، واختلفت عنها دراستي الحالية بالجمع بين مناهج مختلفة للمفسرين وبيان، عنايتهم بأنواع المشكل.

2. دراسة المنصور، عبد الله حمد، **مشكل القرآن الكريم**، هدفت الدراسة إلى تأصيل مشكل القرآن في مباحث علوم القرآن، وتوصلت إلى أن المشكل من المباحث ذات الصلة والأثر في مباحث القرآن كافة.[iii]

واقتصرت الدراسة على الجانب التأصيلي في بيان مفهوم مشكل القرآن وعلاقته في المباحث المتعلقة بالقرآن، وتميزت دراستي عن هذه الدراسة بالجانب التطبيقي، وعرض النماذج في أنواع وأسباب المشكل، وعناية المفسرين بها.

3. دراسة العنزي، سلطان الصغير، **مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي**، هدفت الدراسة إلى بيان منهج الواحدي في عرض وتوجيه مشكل القرآن، وتوصلت إلى نتائج أبرزها أثر سعة الاطلاع والعلم في توجيه الواحدي للمشكل بأنواعه.[iv]

واقتصرت هذه الدراسة على توجيه المشكل عند الواحدي، واختلفت دراستي الحالية عن هذه الدراسة ببيان عناية المفسرين بأنواع وبيان أسباب المشكل.

خطة البحث

جاءت خطة البحث في مبحثين، وأربعة مطالب، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم المشكل وأهميته وحقيقته

- **المطلب الأوّل:** مفهوم المشكل لغةً واصطلاحًا.
- **المطلب الثاني:** أهمية علم مشكل القرآن وحقيقته.

المبحث الثاني: أنواع المشكل وأسبابه

- **المطلب الأوّل:** أنواع مشكل القرآن.
- **المطلب الثاني:** أسباب مشكل القرآن.

[ii] سكاكر، علي عبد الله، مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور، جمعًا ودراسة أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية،2016م.
[iii] المنصور، عبد الله حمد مشكل القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه رسالة ماجستير طباعة دار ابن الجوزي.
[iv] العنزي، سلطان الصغير، مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة،2022م.

المبحث الأول: مفهوم المشكل وأهميته وحقيقته
يتضمن هذا المبحث التعريف بالمشكل لغةً واصطلاحًا، واهمية إيضاح المشكل في التفسير.
المطلب الأوّل: مفهوم المشكل لغةً واصطلاحًا.
أوّلًا: مفهوم المشكل لغة:
المشكل من الرباعي أشكل، ومجرده شكل: والشّكل، بالْفتح: الشِّبْه والمِثل، والجمع أَشكال وشُكول، وفي التنزيل "وآخر من شكله أَزواج"، والمشاكلة: الموافقة، وهذا شيء أَشكل، ومنه قِيل للأَمر المشتبه مشكل، وأَشكل عليَّ الأمر، إذا اختلط، وأشكلت عليّ الأَخبار وأَحكلتْ بِمعنى واحد، والأشكل عند العرب: اللونان المختلطان.[v]
وعند ابن فارس (شكُلَ)، مادة (الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، تَقول: هذا شكل هذا، أَي مثْله، ومن ذلك يقال أَمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه، أي هذا مشابه هذا).[vi]
فيكون لفظ المشكل اسم فاعل مشتق من الرباعي أشكل يشكل والمصدر إشكالًا فهو مشكل، وذلك أن اسم الفاعل من غير الثلاثي يكون بإبدال ياء المضارعة ميمًا ويكسر فيه ما قبل الآخر.[vii]
وجاء في أساس البلاغة أن المشكل من الثلاثي شَكَلَ أي مثل، فيقال: هذا شكله أي مثله، وقلت أشكاله وهذه أشكال وشكول جمعًا، وهذا من شكل ذاك أي من جنسه[viii]، ويستنتج الباحث أن المعنى اللغوي للفظ المشكل يدور حول (الاشتباه، والمماثلة، والاختلاط، والالتباس).[ix]
ثانيًا: مفهوم المشكل اصطلاحًا:
استُعمل لفظُ المشكل في مختلف العلوم الشرعية، كالفقه، والحديث، وعلوم القرآن والتفسير، ومع اختلاف معاني المشكل بين هذه العلوم، فإنها تشترك في أصل المعنى اللغوي للمشكل، وجاءت تعريفات المشكل في العلوم الشرعية على النحو الآتي:
أوّلًا: مفهوم المشكل في علم أصول الفقه: فقد عرف الشاطبي المشكل بأنه المتشابه فقال: (إن المتشابه ما أشكل معناه، ولم يبن مغزاه) [x]، ويرى عبد الوهاب خلّاف أن المراد بالمشكل اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد، بل لا بد من قرينة خارجية تبين ما يراد منه، وهذه القرينة في متناول البحث.[xi]
ثانيًا: المشكل في علم الحديث: يعرف المشكل عند علماء الحديث من خلال النظر في عباراتهم لبيان المراد بالمشكل وتوضيحه، فيقول ابن الجوزي: (ومعلوم أن شرح المعنى أمس، وكشف الإشكال المعنوي أجدر بالبيان وأحق)، ويرى أن الإشكال يكون في اللفظ، والمعنى، والراوي، والرواية، وكل ما توجه إليه الأسئلة لبيانه، في المفردات والجمل والأحكام الشرعية[xii]، أما

([v]). ابن منظور، محمد بن مكرم لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، 357/11.
([vi]). ابن فارس، أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، 204/3.
([vii]). الحملاوي، أحمد محمد، شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الرشد، الرياض، ص97.
([viii]). الزمخشري، محمود أبو القاسم جار الله، أساس البلاغة، تحقيق محمد عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، مادة شكل.
([ix]). المنصور، عبد الله حمد، مشكل القرآن، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426هـ، ص46.
([x]). الشاطبي، إبراهيم موسى، الاعتصام، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ، 736/2.
([xi]). خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، دار الحديث، القاهرة، ط7، 2003هـ، ص171.
([xii]). ابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق علي البوّاب، دار الوطن، 1400هـ، 6/1.

الطحاوي فأشار في كتابه "شرح مشكل الآثار" إلى أن المشكل يقع في المرويات والآثار التي يسقط معرفتها على كثير من الناس، وهذا ما دعاه إلى تأملها لبيانها للناس، مما يقدر عليه من مشكلها، واستخراج الأحكام منها، ونفي الاستحالة والتناقض فيها. [xiii]

ثالثًا: مفهوم المشكل في علوم القرآن وفي التفسير: تعددت تعريفات لفظ (المشكل) في كتب علوم القرآن ولدى المفسرين، مع اتفاقهم أن المشكل لا يكون في ذات القرآن، فإن القرآن مبين واضح ومفصل، ولكن المشكل يقع من اختلاف الأفهام، والأذهان، أو الجهل في المعاني التفسيرية أو التراكيب اللغوية، وقد أفرد العلماء مصنفات بحثت في المشكل وأبرزها كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وكتاب (المحرر الوجيز) لابن عطية.

والمراد بالمشكل عند علماء التفسير والقرآن ما يوهم التناقض والاختلاف، وكلام الله منزه عن التناقض والاختلاف، وما يخفى على المبتدئ ويقع له فيه الغموض والخفاء فيحتاج إلى البيان والتوضيح، وأفردت بعض المصنفات أبوابًا في بيان وبحث مشكل القرآن، منها (البرهان في علوم القرآن) لتقي الدين الزركشي، و(الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي. [xiv]

ويرى الباحث أن التعريف الاصطلاحي للمشكل ينجلي من خلال إيراد أمثلة كاشفة موضحة للمراد من المشكل، ومن هذه الأمثلة:

قوله تعالى **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)** [المؤمنون:101]، فإن هذه الآية وقع فيها الالتباس في معناها مع آية أخرى من كتاب الله، في قوله تعالى **(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)** [الطور:25]

فظاهر هاتين الآيتين من المشكل لتوهم التعارض بينهما، فإن الآية الأولى تنفي التساؤل بين الناس يوم القيامة، وأثبتت الآية الثانية التساؤل، فكيف يكون الإثبات والنفي لشيء واحد.

فالمشكل في الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى، بحيث يصعب التوفيق بينهما دون الامعان في النظر[xv]، أو ما اشتبه المراد منه على وجه لا يعرف تأويله إلاّ بدليل يتميز به من سائر الأشكال.[xvi]

ويتلخص المشكل عند المفسرين بأنه ما يحتاج إلى إمعان النظر، والتدبر، لمعرفة ما يشتبه، وما ظاهره التناقض، ويدعو إلى البحث لبيانه وتوجيهه.

المطلب الثاني: أهمية علم مشكل القرآن وحقيقته.

ظهر الاهتمام بمعرفة وتوجيه مشكل القرآن في منذ العهد النبوي، فقد كان الصحابة يسألون عمّا يشكل عليهم في فهم آيات الله تعالى، فيبينها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويوضحها، وقد أثبتت الآثار والروايات الصحيحة في العهد النبوي، وما بعد هذا العهد، وما ظهر للصحابة ومن بعدهم من وقائع، أنه عرضت للناس مواضع في القرآن الكريم من المشكل، فوقع المتلقي للنص القرآني في إشكال حول معنى الآية وفي فهمها، وممّا يستدل به من هذه الروايات ما يأتي:

([xiii]). الطحاوي، أحمد محمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415هـ، 6/1.

([xiv]). الزركشي، محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب، بيروت، 1957م، 176/2، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1974م، 1470/4.

([xv]). العمري، محمد أمين، تيجان البيان في مشكلات القرآن، تحقيق: حسن الرزو، ط١، مطبعة اشبيلية، بغداد، ص4.

([xvi]). جزمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٧.

1. **حديث عبد الله بن مسعود:** في الإشكال الذي وقع للصحابة في معنى قوله تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)** [الأنعام:82]، فيقول عبد الله بن مسعود: (لمّا نزلت شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أيّنا لا يظلم نفسه؟، قال: **ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألمْ تسمعوا ما قالَ لقمانُ لابنهِ وهوِ يعِظُهُ؟: يا بُنيَّ لا تشركْ باللهِ إنّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ)**.[xvii]

2. **حديث عدي بن حاتم:** أنه لما نزلت الآية الكريمة: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)** [البقرة:187]، فقالَ عَديٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: (فعمِدتُ إلى عِقالٍ أسودَ وعقالٍ أبيضَ فجعلتُهما تحتَ وسادتي، فجعلتُ أنظرُ في الليلِ فلا يستبينُ لي، فغدوتُ على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلّم فذكرتُ له ذلك، فقال: **(إنّما ذلكَ سوادُ الليلِ وبياضُ النهارِ)**.[xviii]

3. **حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها:** أنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن هذه الآية: **(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)** [المؤمنون:60]، فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟، قال: **لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون، ويصومون، ويتصدّقون، وهم يخافون ألا تقبل منهم (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)** [المؤمنون:61][xix]

والطريق لإزالة الإشكال في اللفظ المشكل في العهد النبوي هو السؤال من الناس، والإجابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك أصبح اجتهاد المجتهد، والنظر في اللغة والأصول الشرعية هو الطريق لبيان المشكل، لأن الإشكال في النصوص الشرعية ليس معناه إبهامًا لا يفهم منه الحكم، بل معناه احتمال في اللفظ أو في الأسلوب، يجعل المعنى لا يفهم إلا بعد التأمل والترجيح، وهذا يعدّ من قبيل الإبهام النسبي، لا من قبيل الإبهام الذي يحتاج إلى تفسير من السنة إن كان قرآنا، ولذلك يزول الإشكال باجتهاد المجتهدين، والتوفيق بين النصوص والمقاصد العامة.[xx]

المبحث الثاني: أنواع المشكل وأسبابه

يحتوي هذا المبحث بيان أنواع مشكل القرآن وأسباب المشكل، فقد وضح المفسرون في بيانهم وعلاجهم لمسألة مشكل القرآن أن له أنواعًا وأسبابًا نبينها فيما يأتي:

المطلب الأوّل: أنواع المشكل:

يقع الإشكال على أنواع منها ما ترتبط بالتفسير والمعاني القرآنية للمفردات والجمل القرآنية، أو باللغة العربية التي هي لغة القرآن، أو ما يظهر فيه التناقض أو التعارض في النصوص

([xvii]). البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط 5، 1993 كتاب الصوم، باب قوله تعالى:(ولم يلبسوا إيمانهم)، رقم الحديث3246، 3/ 1262.

([xviii]). البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري المرجع السابق، كتاب الصوم، باب قوله تعالى: وكلوا واشربوا، رقم الحديث 1817، 677/2.

([xix]). الترمذي، محمد عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط2، 1975م، رقم الحديث 3175، 327/5.

([xx]). الحفناوي، محمد إبراهيم، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة الإشعاع الفنية، القاهرة، 2002م، ص276.

القرآنية، أو إشكالات تتعلق باختلاف الأوجه الإعرابية والبيانية، واختلاف القراءات القرآنية، كما استعمل المفسرون مصطلح (المشكل) بأنواعه سواء في المعاني أو في اللغة، والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

النوع الأوّل: مشكل المعنى: وهو المشكل الذي يتصل بالمعاني التفسيرية في النص القرآني، ومن أبرز الأمثلة على استعمال لفظ المشكل في المعنى ما يأتي:

أ- **الأمثلة التي عرضها ابن قتيبة في كتابه (مشكل القرآن)**: فإنه قصد مشكل المعنى في مقدمة كتابه هذا الذي يعد من أقدم الكتب في مشكل القرآن، وكان الإشكال في سوء فهم النص القرآني سببًا في توجيه الطعون من قبل البعض تجاه كتاب الله عزّ وجلّ، وكان هذا داعيًا وسببًا لتأليف ابن قتيبة لكتابه الذي لا زال مرجعًا في هذا الشأن، فيقول في مقدمته: **(وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا) (مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)** [آل عمران:7]، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتّناقض، والاستحالة، واللّحن، وفساد النّظم، والاختلاف). [xxi]

ومن أمثلة مشكل المعنى التي أوردها ابن قتيبة، وقالوا في قوله عز وجل: **(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ)** [هود: 107]، استثناؤه المشيئة من الخلود، يدل على الزوال، وإلا فلا معنى للاستثناء، ثم قال: **(عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)** [هود: 108]، أي غير مقطوع، وإشكال معنى الاستثناء كذلك في قوله تعالى: **(لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ)** [الدخان: 56]. [xxii]

ب- **مشكل المعنى في تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):** في تفسيره قول الله تعالى: **(فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** [البقرة:182]، قال: (فإن أشكل ما قلنا على بعض الناس فقال: فما وجه الإصلاح حينئذٍ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين في الشيء؟)، وشرع في توجيه الإشكال وبيان المعنى . [xxiii]

ج- **إشكال المعنى واللغة في تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي:** ففي تفسيره قول الله تعالى: **(وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [يونس:61]، فبعد أن ذكر كلام الزمخشري في هذه الآية وإشكال المعنى عليه، علّل أبو حيان هذا الإشكال بقوله: (وإنما أشكل عنده لأن التقدير يصير: إلا في كتاب فيعزب، وهذا الكلام لا يصحّ، وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره، لكن هو في كتاب مبين، ويزول بهذا التقدير الإشكال). [xxiv]

([xxi]). ابن قتيبة، عبد الله الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1431هـ، ص23.

([xxii]). ابن قتيبة، الدينوري، تأويل مشكل القرآن المرجع السابق، ص26.

([xxiii]). الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار التربية، مكة المكرمة، 1431هـ، 404/3.

([xxiv]). أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 80/6.

النوع الثاني: مشكل اللغة: ويتعلق هذا النوع بالنحو والإعراب وأحوال الكلمة العربية في القرآن الكريم، وقد أكثر العلماء والمفسرون من استعمال لفظ مشكل اللغة أو مشكل الإعراب، ومن ذلك:

أ- **الأمثلة التي أوردها مكي بن أبي طالب في كتابه (مشكل إعراب القرآن):** فقد جاء هذا الكتاب مختصًا بأمثلة من الإشكالات اللغوية المتعلقة بالإعراب، فذكر في مقدمة كتابه هذا ما يدلّ على بيان أهمية دفع الإشكالات المتعلقة بالإعراب في كتاب الله تعالى في الألفاظ والمفردات والجمل القرآنية، فيقول: (إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد). [xxv]

ب- **الأمثلة التي أوردها العز بن عبد السلام في كتابه (فوائد في مشكل القرآن):** وذكر في هذا الكتاب أمثلة في بيان قول الله تعالى: **(قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي)** [هود:35]، :(أنه مشكل، لأن المشركين قالوا: افترى القرآن، فهذا يقتضي أن يكون "افتريته" ماضيا على بابه، لكن أئمة العربية أجمعوا على أن الشرط لا يكون إلا مستقبلًا، فإن كان المراد المضي أخلّ بالشرط، وإن كان بالاستقبال اخلّ بالجواب، إذ لا يكون مطابقة، والجواب)، ثم بدأ بتفسير وتوجيه هذا الإشكال النحوي ..[xxvi]

ج- **ومن ذلك ما ذكره أبو حيان في (البحر المحيط)** عند تفسير لقوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** [الأنعام: 74]، حيث يقول: (وامتنع آزر من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل: هو صفة، قال الفراء بـ: معنى المعوج، وقال الزجاج: بمعنى المخطئ، وقال الضحاك: الشيخ الهرم بالفارسية، وإذا كان صفة أشكل منعه من الصرف ووصفه المعرفة به وهو نكرة.[xxvii]

النوع الثالث: مشكل التعارض: وهو ما يقع بين النصوص الشرعية مما يوهم ظاهره التناقض والاختلاف، ومثاله في آيتين متتابعتين ما ذكره ابن قتيبة في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)** [الأنفال: 33]، ثم قال على أثر ذلك: **(وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)** [الأنفال: 34]، فظاهر الخبرين التعارض[24]، ومن التعارض في مواضع منفصلة: **(وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)** [الطور: 25]، و[الصافات: 27]، وهو يقول في موضع آخر: **(فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ)** [المؤمنون:101].[xxviii]

([xxv]). مكي، ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق حاتم الضامن، الطبعة الثانية، 1405هـ، مقدمة كتابه مشكل إعراب القرآن.

([xxvi]). عز الدين، عبد العزيز عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن، دار الشروق، جدة، ط2، 1982م، ص138-139.

([xxvii]). أبو حيان، الأندلسي، تفسير البحر المحيط مرجع سابق، 164/4.

([xxviii]). ابن قتيبة، الدينوري، تأويل مشكل القرآن مرجع سابق، ص25.

النوع الرابع: المشكل في وجوه القراءات: فيقع الإشكال في القراءات المتواترة وغير المتواترة، وقد حصرها ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن)، بأحوال سبعة أوجه محددة، ومثّل لها فيما يأتي: [xxix]

أولًا: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها، بما لا يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: **(هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)** [هود: 78]، بالاختلاف في الفتح والضم في (أطهر)، والاختلاف في البناء للفاعل وللمفعول في قوله جلّ في علاه: **(وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)** [سبأ: 17]

ثانيًا: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو الاختلاف في الماضي والطلب في الفعل (باعد) في قوله تعالى: **(رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)** [سبأ: 19]

ثالثًا: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: **(وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا)** [البقرة: 259] و"ننشرها"، ونحو قوله: **(حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)** [سبأ: 23]، وفرّغ.

رابعًا: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب، ولا يغيّر معناها، نحو قوله: **(إن كانت إلّا زقية)** وصَيْحَةً [يس: 29]، وكالصّوف المنفوش **(كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ)** [القارعة: 5]

خامسًا: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: (وطلع منضود) في موضع **(وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ)** [الواقعة: 29].

سادسًا: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: **(وَجَآءَت سَكرَةُ ٱلمَوتِ بِٱلحَقِّ)** [ق: 19]، وفي موضع آخر: **(وجاءت سكرة الحقّ بالموت).**

سابعًا: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: **(وما عملت أيديهم)**، (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) [يس: 35]، ونحو قوله: **(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** [لقمان: 26] و**(إن الغني الحميد).**

ويتلخص مما سبق أن أنواع الإشكال ضمن قسمين أساسيين هما:

- **القسم الأول: إشكال ناتج من غموض في المعنى المراد:** حيث إن اللفظ مشترك بين معان متعدّدة، أو أنه خفي، ولا بد من وجود قرينة خارجية تعين المتأمّل على معرفته، ومثال هذا القسم، قال تعالى: (وَٱلمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوَء) [البقرة، 228]، فالقرء موضوع لكل من الطهر والحيض، ومن ثم أشكل الأمر على الفقهاء هل عدّة المطلقة من ذوات الحيض ثلاثة أطهار أم ثلاث حيضات؟
- **القسم الثاني: إشكال ناشئ من تعارض ما يفهم من نص مع ما يفهم من نص آخر:** مع أن كل نصّ على حدة لا إشكال في دلالته، وإنما ينشأ الإشكال من مقابلة النصين، ومحاولة التوفيق بينهما، ومن أمثلة هذا القسم، قال تعالى: (قُل كُلٌّ مِّن عِندِ ٱللَّـهِ) [النساء،78] وقال تعالى: (مَّآ أَصَابَكَ مِن حَسَنَة فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَة فَمِن نَّفسِكَ) [النساء، 79] فظاهر هذين النصين التعارض، ولكن في الحقيقة لا يوجد أدنى تعارض بينهما، لأن نسبة السيئة إلى

([xxix]). ابن قتيبة، الدينوري، تأويل مشكل القرآن مرجع سابق، ص31-32.

النفس في الآية الأولى المراد بها التسبب والكسب بسبب الذنوب، وأما قوله تعالى:" قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ"، فهو على الحقيقة أي خلقًا وإيجادًا .[xxx]

المطلب الثاني: أسباب المشكل

أورد المفسرون أسباب المشكل بأنواعه والتي تتمثل بما يأتي :

السبب الأوّل: مخالفة العقيدة السليمة: فقد يقع الإشكال بسبب مخالفة العقيدة السليمة، أو لسبب التعصب أو الانحراف الاعتقادي لدى بعض الفرق أو الطوائف، كما ورد ذلك في بعض الإشكالات التي وقع بها الزمخشري وغيره، فيقول الشنقيطي في تفسير قول الله تعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ)** [الأعراف: 54] هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله: **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** [الفتح: 10]، ونحو ذلك، أشكلت على كثير من الناس إشكالًا ضل بسببه خلق لا يحصى كثيرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه، سبحانه وتعالى علوا كبيرا عن ذلك كله، والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح.[xxxi]

وذكر النسفي إشكالًا يتصل بهذا السبب، في بيان قوله تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) **[البقرة:137]، فقال: (ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون الله تعالى مثل وتعالى عن ذلك فقيل الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم)** [xxxii]

السبب الثاني: تعدّد الإخبارات في أمر واحد مع الاختلاف في الإخبار في كل موضع، كما ورد في الإخبار عن السؤال يوم القيامة في قوله تعالى: **(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ)** [الصافات:24]، وفي موضع آخر نفي السؤال في الآية الكريمة: **(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ)** [الرحمن:39]، فبين ابن عاشور أن إثبات السؤال في سورة الصافات تقرير وتوبيخ، ونفي السؤال في سورة الرحمن أي نفي السؤال الذي يريد فيه السائل معرفة الأمر المتردد فيه، كما أن يوم القيامة مواطن متعددة، منها ما يكون فيها السؤال، ومنها ما لا يقع فيه السؤال.[xxxiii]

السبب الثالث: الاتفاق في الموضوع والاختلاف في المراد كالاتفاق في الأمر بالعدل بين النساء، والاختلاف في نوع العدل المطلوب، في قوله تعالى: **(فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا)** [النساء:135]، والآية الثانية: **(وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ)** [النساء:129]، فظاهر الآيتين مشكل، فقد اتفقت الآيتان في الحديث عن موضوع العدل، ولكن تفصيل العدل المراد يستشكل على البعض، فوجه ابن كثير أن نفي الاستطاعة عن العدل أي لن تستطيعوا العدل بين النساء في جميع صوره، فمنه ما يمكن تحقيق العدل فيه كالنفقة، ومنه ما لا يقع في طاقة الإنسان كالمحبة والمودة[xxxiv].

السبب الرابع: اختلاف إسناد الفعل فقد اختلفت أسانيد الفعل في آيات قبض الروح، فتارة أسند الفعل إلى الله عزّ وجلّ: **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)** [الزمر:42]، وتارةً ثانية أسند الفعل إلى ملَك الموت في قول تعالى ذكره: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ**

([xxx]). الحفناوي، محمد إبراهيم، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص 274–276.

. الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن دار الفكر، بيروت،1995م،2/[xxxi]18

([xxxii]). النسفي، عبد أحمد أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م، 134/1.

. ابن عاشور التحرير والتنوير، الدار التونسية،1984، 262/27.[xxxiii]

. ابن كثير إسماعيل أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم تحقيق محد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ،381/2.[xxxiv]

الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) [السجدة:11]، وتارةً ثالثة يكون إسناد الفعل إلى الملائكة الكرام في قوله تعالى وتقدّس: **(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)** [الأنعام:61]، فوضح ابن كثير أن نسبة الوفاة إلى الله أنه تعالى هو المتصرف كيفما يشاء، وبأمره يرسل ملك الموت، ولا تقبض الملائكة إلا بأمر الله تعالى.[xxxv]

السبب الخامس: اختلاف القراءات: فقد يقع الإشكال باختلاف القراءات، كما في قراءة: **(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا)** [الإسراء:16]، وقراءة: **(أمّرنا مترفيها)**، فقد يستشكل على البعض قراءة أن الأمر بالفسق معلوم أن الشارع الحكيم لا يأمر بالفحشاء والمنكر والفسق، فوجه الطبري الإشكال أن الأمر من الله تعالى بالطاعة والعدل، فكان منهم مقابلة هذا الأمر بالكفر والفسق.[xxxvi]

السبب السادس: مخالفة الفصيح المشهور من قواعد اللغة العربية وأصولها: مثل الإشكال النحوي في قراءة النصب في قوله تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)** [آل عمران:19]، والقاعدة اللغوية أن همزة (إن) تُكسر في الابتداء، فوجه أبو حيان أن النصب يكون على الاستئناف، وأن الجملة مؤكدة لما قبلها.[xxxvii]

وقد تقع هذه المخالفة في الاشتقاقات التي يوردها البعض من المفسرين، ويتعقبه مفسر بأنها لا تخضع للميزان الصرفي، ومثاله ما تعقب ابن عاشور به الزمخشري في اشتقاق لفظ (القسط)، فقال ابن عاشور: (وجوّز صاحب «الكشاف» أن يكون أقسط مشتقًا من قاسط بمعنى ذي قسط، أي صيغة نسب وهو مشكل، إذ ليس لهذه الزنة فعل. واستُشكل أيضًا بأن صَوغه من الجامد أشدّ من صوغه من الرباعي، والجواب عندي أنّ النسب هنا لمّا كان إلى المصدر شابه المشتق: إذ المصدر أصل الاشتقاق، وأن يكون اقوم مشتقًا من قام الذي هو محوّل إلى وزن فعل- بضم العين- الدالّ على السجية، الذي يجيء منه قويم صفةً مشبهةً) [xxxviii]

السبب السابع: الغرابة في الألفاظ وصعوبة تحديد معناها: كما وقع لعمر رضي الله عنه من الإشكال في لفظ (كلالة)، وقد وقع هذا الإشكال لكثير ممن بعده، فقال ابن عاشور: (وقد عدّ الصحابة معنى الكلالة هنا من مشكل القرآن حتى قال عمر بن الخطاب: «ثلاث لإن يكون رسول الله بينهن أحب إليّ من الدنيا: الكلالة، والربا، والخلافة». وقال أبو بكر: «أقول فيها برأيي، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، والله منه بريء، الكلالة ما خلا الولد الوالد».[xxxix]

السبب الثامن: الغرابة في الإخبار: فقد أورد النسفي ما قد يستشكل في إخبار سليمان عليه السلام عن الهدهد أن يأتيه بسلطان مبين، أي بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته، والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء، اثنان منها فعله ولا مقال فيه، والثالث فعل الهدهد وهو مشكل، لأنها من أين درى أنه يأتي بسلطان، حتى قال والله ليأتيني بسلطان، وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الأمور، يعني إن كان الإتيان بسلطان لم يكن تعذيبا ولا ذبحا، وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية.[xl]

[xxxv] ابن كثير تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق،7/91

[xxxvi] الطبري جامع البيان عن تأويل ي القرآن، مرجع سابق،17/403

[xxxvii] أبو حيان البحر المحيط،3/67.

([xxxviii]). ابن عاشور، التحرير مرجع سابق، 3/115.

([xxxix]). ابن عاشور التحرير والتنوير، المرجع السابق، 4/264.

([xl]). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل مرجع سابق، 2/599.

السبب التاسع: توهم التعارض في النصوص والأدلة الشرعية أو العلمية: كالتعارض المتوهم في عدد أيام خلق السموات والأرض، وضحت كثير من سور القرآن أن السموات والأرض قد خلقت في ستة أيام، وهنا مشكلتان، الأولى أنه من الثابت علميًا أن خلق السموات والأرض قد استغرق بلايين السنين، والثانية أنه في التعبير القرآني نفسه كانت مدة الخلق ثمانية أيام بدلًا من ستة في قوله تعالى، مع أن المشكلة لا وجود لها، فليس هناك تناقض ولا تفاوت بين المدة الزمنية التي جاءت في هذه الآيات وبين الآيات الأخرى التي ورد فيها تحديد الأيام الستة، ففي الآيات من سورة فصلت نجد أن الله، سبحانه وتعالى، يخبرنا بأنه **(خَلَقَ ٱلأَرضَ فِي يَومَينِ) [فصلت، 9]**، ثم **(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ) [فصلت،10]** أي في يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فيكون المجموع أربعة أيام، وليس وارد أن يكون خلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام، وتوهم الثمانية أيام يأتي من التوهم في قوله تعالى: **(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) [فصلت،12]**، بأن الإضافة تتمة وليس إضافة ليومين جديدين، بل هما داخلان فيما ذُكر في الآيات/فصلت:9-12.[xli]

وفي مقدار اليوم عند الله تعالى، ففي آية أخبر تعالى أن مقدار اليوم ألفُ سنة **(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)** [السجدة:5]، وفي آية أخرى مقدار اليوم خمسون ألف سنة: **(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)** [المعارج:4] .[xlii]

السبب العاشر: الآثار والروايات: كالإشكالات التي يوردها الرواة، ويستشكلها المفسرون، مثل سبب النزول، فقد استشكل ابن كثير الرواية في نزول آخر آية من سورة الكهف، تلك الرواية التي تفيد بأن آخر آية من سورة الكهف آخر ما نزل من القرآن الكريم، فقال ابن كثير: (وَقَالَ: إِنَّهَا آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية آخِرُ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَالْكَهْفُ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ).[xliii]

كما نبّه ابن كثير كذلك على المشكل في الرواية الصحيحة في نزول سورة النجم والواردة في صحيح البخاري فقال: (سُورَةُ النَّجْمِ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَدَ- يعني الزبيدي- حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمِ قَالَ: فَسَجَدَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ، وَقَوْلُهُ فِي الْمُمْتَنِعِ إِنَّهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مُشْكِلٌ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الطَّرِيقِ أَنَّهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ).[xliv]

السبب الحادي عشر: توهم معنى غير صحيح: بل هو متبادر في الذهن، كما في توهم المعنى الخاطئ من العطف على محل مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ أو على لفظ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فتحاً في موضع الجرّ

([xli]). عمارة، محمد، شبهات حول القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 2002م، ص6.

([xlii]). ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير مرجع سابق، 214/21.

([xliii]). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم مرجع سابق، 186/5.

([xliv]). ابن كثير تفسير القرآن العظيم، مرجع السابق، 410/7.

فيتوهم أن الاستثناء يعزب عن علم الله، كما في قول الزمخشري: (لأن قولك: لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب) مشكل.[xlv]

السبب الثاني عشر: الإشكال العرفي الذي يخضع لحدود المعرفة البشرية: كما في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) **(الليل،3)**، فالخنثى في العرف البشري لا يصنف ذكرًا ولا أنثى، فقال الزمخشري: (والخنثى، وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل، معلوم بالذكورة أو الأنوثة، فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى، ولقد لقى خنثى مشكلا: كان حانثًا، لأنه في الحقيقة إمّا ذكرا أو أنثى، وإن كان مشكلا عندنا). [xlvi]

[xlv] أبو حيان البحر المحيط،80/6.

[xlvi]). الزمخشري، محمود أبو القاسم، الكشاف مرجع سابق، 762/4.

الخاتمة وأهم النتائج

تناول البحث اهتمام المفسرين في عرض المشكل في التفسير وبيانه، وتوصّل إلى النتائج الآتية:

1. الاهتمام بتوجيه مشكل القرآن بمعانيه المشكل التي تدور حول الالتباس والخفاء والغموض، والحاجة إلى إعمال النظر.
2. عناية المفسرين على اختلاف مناهجهم ببيان المشكل، وتفسيرهم، وأن هذا من الواجبات على المفسر.
3. أظهرت عناية المفسرين بدراسة المشكل أنه يكون في ظاهر النص، ولا يقع في ذات النص القرآني وإنما يكون في الأفهام والأذهان.
4. إن حقيقة المشكل والعناية بتوجيهه ظهرت في العهد النبوي وفي عصر الصحابة والتابعين.
5. تعددت أنواع المشكل التي اعتنى ببيانها المفسرون في المعنى واللغة والتناقض والتعارض والقراءات.
6. إن أهم أسباب المشكل الجهل باللغة العربية، ومخالفة العقيدة السليمة، وتوهم معانٍ غير صحيحة من ظاهر النص.

توصيات وبحوث

يوصي الباحث بعمل دراسات وأبحاث في هذا الجانب؛ لأهميته، ومن ذلك أبحاث تتناول الآتي:

1. صلة المشكل بمباحث علوم القرآن وأثرها في التفسير.
2. أثر المذهب الفقهي في تناول المشكل. وتوجيهه.
3. أثر اختلاف العقيدة في تفسير المشكل.
4. المشكل في التفسير دراسة تأصيلية تحليلية.

المراجع

1.البخاري، محمد إسماعيل، الصحيح الجامع، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط 5، 1993.
2.الترمذي، محمد عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
3.جزمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، ط1، دار القلم، دمشق، 2001م.
4.ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق علي البوّاب، دار الوطن، 1400هـ.
5.الحفناوي، محمد إبراهيم، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، 2002م.
6.الحملاوي، أحمد محمد، شذا العرف في فن الصرف، مكتبة الرشد، الرياض، 1400هـ.
7.أبو حيان الأندلسي، محمد يوسف، البحر المحيط، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
8.خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، دار الحديث، القاهرة، ط7، 2003هـ.
9.الزركشي، محمد عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب، بيروت، 1957م.
10.الزمخشري، محمود أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط7، 1407هـ.
11.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، 1974م.
12.الشاطبي، إبراهيم موسى، الاعتصام، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ.
13.الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
14.الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية، مكة المكرمة، 1431هـ.
15.الطحاوي، أحمد محمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415هـ.
16.ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، 1984م.
17.عز الدين، عبد العزيز عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن، دار الشروق، جدة، ط2، 1982م.
18.عمارة، محمد، شبهات حول القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، 2002م.
19.العمري، محمد أمين، تيجان البيان في مشكلات القرآن، تحقيق: حسن الرزو، ط1، مطبعة إشبيلية، بغداد.
20.ابن فارس، أحمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
21.ابن قتيبة، عبد الله الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق إبراهيم شمس الدين، 1431هـ.

22.ابن كثير، إسماعيل أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
23.مكي، ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق حاتم الضامن، الطبعة الثانية، 1405هـ.
24.المنصور، عبد الله حمد، مشكل القرآن، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426هـ.
25.ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
26.النسفي، عبد أحمد أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م.

الدراسات

1. العنزي، سلطان الصغير، مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،2022م.
2. سكاكر، علي عبد الله، مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور، جمعًا ودراسةً، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية،2016م.
3. المنصور، عبد الله حمد، مشكل القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، رسالة ماجستير، طباعة دار ابن الجوزي.

(والحمد لله رب العالمين)